انه شأن من شؤون رجال الاعمال (المختلفين عن السياسيين) والمعلمين والمثاليين (المختلفين عن معلقي التلفزيون أو مراسلي الصحف) أولا « ان يعرفوا » الحقيقة ومن ثم أن يصلوا الى الضمائر عند الآخرين وهكذا ينشطوها «لتقيم العدل وتحب الرحمة». وهذا يشير الى خاتمتي لهذه المقالة . كان رد فعلي الاول للدعوة الى تقديم هذه الشهادة هو الاعتراض على صياغة الموضوع . فضميري يرفض تصور أن هناك في مخاطبة ظاهرة الثورة الفلسطينية ضميرا « يهوديا » و« مسيحيا » و« مسلما » . قد تكون هناك اشكال مختلفة نوعا ما « لوعي » الثورة بين هذه المجموعات المختلفة . ولكن اذا كان الجوهر الدافع للثورة هو دولتها الديموقراطية المعلنة ، واحترامها للانسانية المشتركة لجميع الذين لهم مطالب شرعية في فلسطين ، وتوسيعها الرحوم للتقيدات الحرفية والمتشددة بقانونية تلك المطالب لتشمل — كأنداد — هؤلاء الذين يعيشون حاليا في البلاد (بصرف النظر عن الخطوات التي قد تتخذ في النهاية لازالة جهاز ايديولوجيا صهيونية عنصرية/لاهوتية) ، فان القوة الدافعة الاخلاقية للثورة ، اذا ، هي انعكاس لمزيج من الضمير اليهودي — المسيحي — المسلم . ذلك اننا جميعا معرضون بطريقة او بأخرى وفي درجات مختلفة لقواعد سلوك اديانتنا الخاصة ، وهذه القواعد تأمرنا بتوفير هذه القيم الانسانية/الالهية نفسها . وقد يحاول البعض تسويغ خيانة هذه القيم عن طريق التنازلات الوطنية/السياسية . الا أن التسويغات لا تبطل الحقائق الثابتة . فالتسويغات تثبت ، فحسب ، ضعفنا البشري العام الشامل . وبكلام آخر ، اذا حققت الثورة أهدافها المعلنة — واذا كان هؤلاء الذين يديرون اية بنية قد يتم خلقها لتنفيذ هذه الاهداف مخلصين لها ويعملون باستقامة وأمانة — فانني من وعيي **أنا** للضمير « اليهودي » يجب أن أقول ان الضمير « اليهودي » سيكون فعالا مؤثرا في الثورة نفسها .

في هذه المرحلة الحاسمة من مراحل التاريخ سيكون هناك من يقول ان هذه الرؤيا منسوجة من الوهم . يجب أن يتذكر هؤلاء انه لسنتين قصيرتين خلتا فحسب تكلمت غولدا مئير من وعي « يهودي » (صهيوني) مجرد من الضمير فأعلنت ان الفلسطينيين « لا وجود لهم » . هذه هي حال الواقعيين ! لقد تمتع نضال الفلسطينيين بقدر كبير من النجاح في النفاذ الى وعي العالم — **دون استثناء اليهود** . فالتظاهرة التي اديرت ببراعة في ساحة هامرشولد أمام الامم المتحدة في الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) كانت — بين أمور أخرى — برهانا جليا على ان الوعي « اليهودي » تخطى قصر نظر غولدا مئير السياسي . وكان هذا الوعي في الاشهر الاخيرة من عام ١٩٧٤ معنيا بالتكتيكات لمواجهة الفلسطينيين فيما تدنو المناقشة العالمية حول فلسطين من مستوى معرفة وادراك كانت الصهيونية/اسرائيل — بعد عام ١٩٦٧ — على ثقة متغطرسة بأنها لن تبلغه ابدا .

بيد ان النضال الاعظم يكمن في المقبل من الايام ، بعدما حقق الفلسطينيون النجاح في مرحلة اولى معلنة من مراحل الثورة — وهي على وجه الدقة ايقاظ الوعي العالمي لوجودهم — فان التحدي التالي لهم سيكون الانتقال الآن من هذا الوعي الذي ما يزال غير ثابت الى ضمير العالم ، فان صورة الفلسطينيين عند مستوى الوعي العالمي تبقى مبهمة ، في أفضل الاحوال . وهي صورة عنف في أسوأ الاحوال . ولا يفهم الا قلة من الاشخاص رفيعي الثقافة والمطلعين ، والانصار الملتزمين ، بأن الفلسطينيين دفعوا الى بعض التكتيكات لان العالم نفسه كان قد تجاهل النداءات السابقة التي تخاطب